مفاهيم عامة في التداولية

- المستوى التداولي :

التداولية (اصطلاحاً): ينسب أول استعمال لمصطلح (pragmatique) للفيلسوف الأمريكي (شارل موريس) وذلك سنة ١٩٣٨ وقد عرفها بقوله: ((التداولية جزء من السيميائية، التي تعالج العلاقة بين العلامات، ومستعملي هذه العلامات)). وهذا المصطلح في رأيه يمثل أحد هذه الفروع التي يمكن معالجة اللغة بها :

١- علم التراكيب: ويعنى بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض.

٢- علم الدلالة: وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها.

٣- التداولية: وتهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها. إلا أنّها لم تصبح منهجاً يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن عمل على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم أوستن وسيرل وجرايس، وأصبحت منهجاً لسانياً يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، فلا يمكن دراسة اللغة إلا عند استعمالها، فهي ((دراسة استعمال اللغة في الخطاب، شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية)) ، ويقصد بالاستعمال أنّ الخطاب يكون وليداً لظروف معينة تساعد على إنتاجه ومقامات مختلفة يوظفها المتكلم في خطابه على وفق قصديته لإيصال المعنى المراد إلى المتلقي. فالكلام ((هو أن نفعل، وبمعنى واضح، هو مثلاً فعل في الآخرين، وبمعنى غير ظاهر ولكنه واقعي)) ، ويعني هذا أنّ المتكلم يهدف إلى تحقيق الإنجاز من خطابه وإيصال المتلقي إلى مستوى من التأثير. بمعنى أنّ هذا المنهج يُعنى بأثر التفاعل الخطابي في موقف الخطاب ويتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق. وتشمل هذه المعطيات:

١- معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في البحث اللغوي.

٢- الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

٣- المعرفة المشتركة بين المتخاطبين واثر النص الكلامي فيهما.

وقد لخصت (فرونسواز ارمنيكو) هذه المعطيات على تساؤلات:

أ. من يتكلم ؟ (المتكلم/المبدع).

ب. مع من تتكلم ؟ (المستمع/المتلقي).

ج. لأجل ماذا نتكلم ؟ (مقاصد الكلام)

د. ما هو مصدر التشويش والإيضاح.

كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟ (السياق).

فالتداولية هي المنهج الذي بوساطته تتم الإجابة عن هذه التساؤلات. وقد تعددت مصطلحات هذا المنهج وتنوعت بحسب فعل الترجمة، لكن أول من وضع مصطلح (التداولية) مقابلاً لمصطلح البراجامتية هو (د.طه عبد الرحمن)، إذ يقول: ((وقد وقع اختيارنا منذ ١٩٧٠ على مصطلح "التداوليات" مقابلاً للمصطلح الغربي "براغماتيقا"؛ لأنّه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي "الاستعمال" و "التفاعل" معاً. ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم)). فالتداولية منهج يعنى بـ ((دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل ؛ لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئاً متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد.... وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما)).

الجانب التطبيقي : نظرية الفعل الكلامي :

تعد نظرية الفعل الكلامي من أهم أسس المنهج التداولي بل هي العماد الذي قامت عليه التداولية، حتى أنّ هناك نفراً من الباحثين من كان يطلق على التداولية اسم (الفعليات) نسبة إلى هذه النظرية التي تشكل أهم جزء فيها وبذلك تمثل (الأفعال الكلامية) النواة الأساسية للتداولية، ويقصد بها ((التصرف أو "العمل" الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم فـ"الفعل الكلامي" يراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها "أفعال كلامية")). ويعني هذا أنّ المتكلم عندما يتلفظ بقول ما فإنّه يحقق إنجازاً فعلياً يكون متحققاً على أرض الواقع لغرض التواصل مع المتلقي أولاً، ومن ثم يحقق إنجازاً وتأثيراً وانطباعاً في نفسه ثانياً، وبذلك فإنّ اللغة ليست مجرد أداة

للتواصل أو وسيلة للتخاطب كما تتصورها المدارس الوظيفية، أو رموزاً للتعبير عن الفكر كما تتصورها التوليدية التحويلية، وإنّما هي أداة لتغيير العالم وصنع أحداثه والتأثير فيه وتغيير السلوك الإنساني عبر مواقف كلية ، وإنّ المؤسس الأول لنظرية الأفعال الكلامية هو (أوستن - ت ١٩٦١م) الفيلسوف اللغوي الإنكليزي الذي ألقى سلسلة من المحاضرات الشهيرة في جامعة (هارفرد) الأمريكية في عام (١٩٥٥) التي اشتهرت باسم (محاضرات وليم جيمس) ثم نشرت عام (١٩٦٢) بعد وفاة (أوستن) من أحد طلابه (إيرمسن) على هيأة كتاب بعنوان (كيف تفعل الأشياء بالكلمات-How to do things with word)، أو كيف ننجز الأشياء بالكلام ، وبنظريته هذه كان لا ينظر إلى اللغة من الجانب اللغوي والنحوي والنفسي فحسب، بل من الجانب الاجتماعي أيضاً، باستعمالها عن طريق التأثير والتأثر لتحقيق التواصل. فالفعل الكلامي هو كل ملفوظ ينطق به المتكلم ليحقق حدثاً إنجازياً وتأثيراً في نفس المتلقي، وهذا الملفوظ ((ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلاً عن ذلك، يعد نشاطاً مادياً نحوياً يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية "كالطلب والأمر والوعد والوعيد.. إلخ" لغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي "كالرفض والقبول". ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلاً تأثيرياً، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب، اجتماعياً أو مؤسساتياً، ومن ثمّ إنجاز شي ما)) .وقد وصلت نظرية الفعل الكلامي إلى مرحلة النضج والاستقرار على يد (جون سيرل) معتمداً على الأسس التي وضعها أستاذه (أوستن)، إذ قام بتطوير النظرية وإعادة صياغة أفكارها من جديد

بنية الفعل الكلامي:

رأى (أوستن) أنّ الفعل الكلامي يتكوّن من ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد هي:

١- **الفعل اللفظي (فعل الكلام) أو (فعل القول): ويقصد به النطق ببعض الألفاظ أو الكلمات إي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة متصلة على نحو ما بمعجم معين، ومرتبطة به، ومتمشية معه، وخاضعة لنظامه.**

٢- **الفعل الإنجازي (قوة فعل الكلام) أو (الفعل المتضمن في القول): ويقصد به إنجاز فعل في حال قول شيء ما مع مراعاة مقتضى المقام.**

٣- **الفعل التأثيري (لازم فعل الكلام) أو (الفعل الناتج عن القول): والمقصود به الأثر الذي يتركه المتكلم في نفس المتلقي ؛ لأنّ قول شيء ما قد يترتب**

عليه أحياناً أو في العادة حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته من قبول أو غضب أو حزن أو فرح...ألخ

- تصنيف الأفعال الكلامية:

١- الإخباريات

٢- التوجيهيات.

٣- الالتزاميات.

٤- التعبيريات.

٥- الإعلانيات.